الإصلاح

لقد اهتم الاسلام بموضوع الخلاف والتنازع؛ لأن المسلمين كغيرهم من البشر يقع منهم الخطأ والخلاف، ومن العسر اتحاد آرائهم وتوحد اتجاهاتهم، لهذا وضع الاسلام علاجا للمنازعات والخلافات قبل وقوعها بتحريم كل من يؤدي إلى إفساد ذات البين بدءا من المراء والمشاحنة، مرورا بالتدابر والتهاجر وانتهاء بمرحلة الاعتداء والقتال.

وأوجب على المسلمين الإصلاح بين الناس والوقوف في وجه المعتدين لمنع الفرقة؛ لتبقى شجرة المحبة بين الناس مثمرة وارفة الظلال.

قال تعالى: (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) (الأنفال: 1).

كما قال سبحانه على لسان شعيب عليه السلام: (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) (هود: 88).

أما الأحاديث الشريفة فقد ورد عن الرسول ﷺ في الإصلاح والصلح أحاديث كثيرة صحيحة ومنها:

عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى، يا رسول الله قال: «إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة) رواه أبو داود (4919)، وصححه الألباني.

هذا الحديث فيه بيان درجة إصلاح ذات البين، بأنها من أفضل الأعمال عند الله سبحانه وتعالى، وفيه استفهام للتنبيه على أهمية إصلاح ذات البين حتى تكون الأحوال صحبة وألفة، لأن فساد ذات البين هو الخصلة التي من شأنها أن تحلق أي: تهلك وتستأصل الدين، كما يستأصل الموسى الشعر، أو المراد المزيلة لمن وقع فيها لما يترتب عليه من الفساد والضغائن، وذلك لما فيه من عموم المنافع الدينية والدنيوية من التعاون والتناصر والألفة والاجتماع على الخير.

والإصلاح ضد الفساد بمعناه وله أنواع متعددة منها:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة الله، لأن المعصية إفساد، ومن الإصلاح التوبة لأنها من أهم أبوابه وهي مع الإصلاح السبيل إلى الغفران: إذ يقول الله سبحانه في ذلك: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) (البقرة: 159 ـ 160).

ومن الإصلاح النهي عن الإفساد بعد الإصلاح: قال تعالى (ولا تفسدوا في الأرض بع إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين) (الأعراف: 56).

ومن أهم أنواع الإصلاح: إصلاح ذات البين وقد ورد في القرآن آيات كثيرة فيه ومنها:

قوله تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) (الحجرات: 9).

وإذا أردنا استقصاء جميع الآيات التي تتحدث عن الإصلاح بجميع أنواعه لوجدناها خمسا وعشرين آية، وكذلك هناك أحاديث كثيرة تتناول إصلاح ذات البين ولذا سنركز عليه كجانب أساسي للحفاظ على وحدة المجتمع الإسلامي.

أيها الأخوة الفضلاء إن المؤمن أخو المؤمن، والأخوة رباط قوي من روابط الإيمان الحقيقي، لذلك كان لزاما علينا أن نسارع ودون أي تهاون إلى رأب الصدع، وإصلاح الخلل بين الإخوة قبل أن يستفحل الشر ويعضل الداء، لننال رحمة الله تعالى وغفرانه.

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا» رواه مسلم (2565).

وقد اهتم الإسلام بمسألة احتمال وقوع خلاف بين المسلمين وأخذها بعين الاعتبار؛ وذلك لأن المؤمنين بشر، والبشر يخطئون ويصيبون، ويعسر أن تتفق آراؤهم أو تتوحد اتجاهاتهم دائما. ولهذا عالج الإسلام مسألة الخلاف هذه، على اختلاف مستوياتها؛ بدءا من مرحلة المشاحنة والمجادلة، ومرورا بالهجرة والتباعد، وانتهاء بمرحلة الاعتداء والقتال وقد نص القرآن الكريم على الحل الأمثل لعلاج مثل هذه الحالات الطارئة ويتمثل بانتهاج طريقين اثنين هما:

أولا: العمل على جمع شمل المتخاصمين سواء كانوا أفرادا أو جماعات وإصلاح ذات بينهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثانيا: في حال تمرد إحدى الفئتين المتخاصمتين على أحكام الصلح وقبول الأخرى بها، يجب أن يقوم المجتمع بأكمله في وجه الفئة المتمردة منهما لإلزامها برأي الجماعة، ولو أدى ذلك إلى إخضاعها له بالقوة. فإذا ارتدعت وانقادت فالصلح سيد الأحكام، والعدل رائد الجميع في إتمام مسيرة السلام، وبذلك تنتزع جذور الشر من القلوب وتزرع مكانها بذور المحبة والوئام.

شهر الانتصارات

معركة حطين وانتصار المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي «1-2»

معركة حطين معركة فاصلة بين الصليبيين وقوات صلاح الدين المسلمة، قامت في 4 يوليو 1187 قرب قرية المجاودة، بين الناصرة وطبرية انتصر فيها المسلمون، ووضع فيها الصليبيون أنفسهم في وضع غير مريح إستراتيجيا في داخل طوق من قوات صلاح الدين، أسفرت عن سقوط مملكة القدس وتحرير معظم الأراضي التي احتلها الصليبيون.

دوافعها

كانت مناطق من البلاد الإسلامية والقدس تحديدا قد احتلت من قبل الصليبيين عام 1099، وكان الإقطاعيون الصليبيون والفرسان قد نصبوا أنفسهم أمراء وملوكا على تلك المناطق، فكان هذا على مدى قرن دافعا لتحرير البلاد من الاحتلال، وكانت غارة لصوصية شنها أحد بارونات الإفرنج البارزين، رينو دي شاتيلون (أرناط) السبب المباشر لهجوم المسلمين، رينو دي شاتيلون كان مغامرا وقحا وسبق له أن اجتاح قبرص البيزنطية في سنة 1155 وعمل فيها سلبا ونهبا، وكان قد أسر عند نور الدين زنكي قبل 16 عاما، وبعد إخلاء سبيله استقر في حصن الكرك، وعكف على نهب وسلب قوافل التجار المارة في الجوار، لأن الحصن كان يقطع الطريق من سورية إلى مصر والحجاز، وفي أواخر سنة 1186 ولربما أوائل 1187، شن رينو غارة (خلافا لشروط هدنة عقدت في 1180) على قافلة متجهة من القاهرة إلى دمشق ونهب بضائعها، وأسر أفرادها وزجهم في حصن الكرك، ويروى أن القافلة كانت لأخت صلاح الدين بالذات، فما كان من صلاح الدين إلا ان يطالب في الحال ملك القدس آنذاك غي دي لوزينيان بالتعويض عن الضرر والإفراج عن الأسرى ومحاسبة الناهب، ولكن الملك لم يجازف بمس تابعه القوي رينو، فكان أن قرر صلاح الدين إعلان الحرب على مملكة القدس، إلا ان مرض صلاح الدين أخر بدء القتال في تلك السنة.

العمليات العسكرية التي سبقتها

كانت تلك العمليات تهدف إلى توحيد المسلمين، وكان للتوحيد اساليب بالاقناع واللين حينا أو باستعمال القوة احيانا اخرى.

في البدء اجتاحت قواته في الربيع الباكر من عام 1187 مناطق قلعتي الكرك وكراك دي مونريال، وبعد شهرين بدأ القتال ضد الصليبيين، واحتشدت قوات المسلمين المنطلقة من دمشق نحو بحيرة طبريا وضمت جيش الشام الموحد قوات من دمشق وحلب والموصل، ووافاه جيش من مصر بقيادة الملك العادل فضمه الى جيش الشام، وسار بهما الى تل عشترة.

في مايو 1187 م أبيدت إلى الشمال الشرقي من الناصرة فصيلة كبيرة مؤلفة أساسا من الفرسان الصليبيين، ولقي الأستاذ الأكبر لجمعية الأوسبيتاليين روجيه دي مولان مصرعه.

كانت قوات المسلمين بقيادة صلاح الدين تضم 12 الف فارس و13 الفا من المشاة وقوة كبيرة من المتطوعين ورجال الاحتياط، وفي الجانب الآخر حشد الصليبيون 22 الفا بين فارس ورجل.

عبرت جيوش المسلمين نهر الأردن جنوبي طبرية، وسارت في اليوم التالي إلى تل كفر سبت (كفر سبيت) في الجانب الجنوبي الغربي من طبرية، وحاولت الاشتباك مع الصليبيين، فرفضوا القتال، وفي 2 يوليو استولت جيوش صلاح الدين المسلمة على طبرية قاطعا على عدوه طريقه إلى الماء.

رمضانيات

إن من أسباب عزة المسلم الاجتهاد في الأعمال الصالحة والكلام المستطاب، كما قال رب الأرباب في محكم الكتاب: (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور).

فالعزيز من اجتهد في أن يعز نفسه بالطاعة، والذليل من دس نفسه بالمعصية والتفريط والإضاعة، قال أبوعثمان سعيد بن إسماعيل الحيري رحمه الله تعالى: (حق لمن أعزه الله بالمعرفة: ألا يذل نفسه بالمعصية) أخرجه الأصبهاني.

والعزيز هو من تجمّل بالعفو عن المسيئين، وتخلق بالصفح عن المخطئين، فإن ذلك من أسباب العزة والتمكين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» أخرجه مسلم.

فمن أصابه الظلم أو أحاط به القهر: فإن الله تعالى يؤيده بالعزة إذا تدثر بالصبر، فعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهن، وأحدثكم حديثا فاحفظوه، ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر. وأحدثكم حديثا فاحفظوه، إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما، فهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء» أخرجه أحمد والترمذي.

وإذا سوّل للمؤمن الشيطان اللعين: بأن هذا العفو وهذا الصبر تذلل للمخلوقين، فليرغمه بأن هذا خضوع لرب العالمين، والمؤمن بهذا الخضوع عزيز مكين، وقد كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول: «إياكم والكبر، إياكم والإعجاب بالأعمال، انظروا إلى من دونكم، ولا تنظروا إلى من فوقكم، من ذل نفسه رفعه مولاه، ومن خضع له أعزه، ومن اتقاه وقاه، ومن أطاعه أنجاه، ومن أقبل إليه أرضاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، ومن أقرضه قضاه، ومن شكره جازاه، فينبغي للعبد أن يزن نفسه قبل أن يوزن، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ويتزين ويتهيأ للعرض على الله» أخرجه الأصبهاني.

فشتان ما بين هذه العزة التي هي شعبة من شعب الإيمان، والعزة المزعومة التي هي شعبة من شعب الإثم والعدوان، فعزة الإيمان والدين: في وصية رب العالمين، لخاتم الأنبياء والمرسلين: (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين). وعزة الإثم والفساد: هي الموصوف بها شر العباد: (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد). فهنيئا لعبد أعزه الله تعالى بعد ذلة، فصارت العزة خلة له وجبلة، يعفو عمن ظلمه، ويصفح عمن خصمه:

متيم بالندى لو قال سائله
هب لي جميع كرى عينيك لم ينم

وبؤسا لعبد تشبع بما لم يعط من العزة والفخر، فهو كلابس ثوبي الزور والكبر، يسكب ناصحه على خديه حزين دمعته، ولا يبكي هو على غلظ قلبه وقسوته:

تبكي علينا ولا نبكي على أحد
فنحن أغلظ أكبادا من الإبل

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس». فمن حفظ شرائع دينه حفظه ربه ومولاه، ومن تعزز برسوم ملته أعزه الله واجتباه.

من روائع الخط العربي

نية المؤمن خير من عمله

الفنان ألب أرسلان ـ تركيا
راعى الفنان ألب أرسلان في تنفيذ هذه اللوحة جودة الخط من خلال تقنية الإبرو المكتور، طور هذه الطريقة الفنان والخطاط نجم الدين أوقياي (1883 ـ 1976).